المحاضرة : رقم04

طبيعة الأدب

التعريف بالمادة
- وصف المادة : - أستاذ المادة: روفيا بوغنوط - المستوى : سنة ثانية - التخصص: دراسات لغوية - الرصيد:3 - المعامل: 2 - معلومات الاتصال : - البريد الإلكتروني: boughanoutrofia@gmail.com - أيام التدريس والحضور إلى القسم: الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء.
الأهداف والكفاءة المستهدفة
الوصول إلى تمييز الخصائص التي تحدد فرادة العمل الأدبي عن غيره، وإدراك مصطلحات جديدة هي أدبية الأدب والشعرية التعرف على الوظائف التي تقوم عليها الرسالة اللفظية
الكفاءة والمكتسبات القبلية
اختبار الكفاءات السابقة: * تكون عن طريق أسئلة مباشرة ننطلق من سؤال إشكالي هو ما الذي يجعل عملا ما أدبا ، وما الذي يجعل في المقابل عملا آخر ليس أدبا ؟ وانطلاقا من ذلك نرى كيف يحدد الطالب طبيعة الأدب وفق مكتسباته
عناصر المحاضرة وخطة العمل
أولا ـ طبيعة الأدب **ثانيا ـ نظرية الأدب والشعرية / بحثا عن أدبية ـ**

د.روفيا بوغنوط مادة نظرية الأدب سنة ثانية ليسانس - ٢٠٢١-٢٠٢٢

أ- الأدبيةlittérarité

ب - الشعرية : poétique

ملخص المحاضرة :

سنعمل في محاضرتنا هذه على إبراز طبيعته الأدب انطلاقا من السؤال الذي اشتغلت عليه النظريات الأدبية المعاصرة حول أدبية الأدب أو ما الذي يجعل نصا ما أدبا ؟ وهو ما يفضي إلى أن نفرد الحديث عن الأدبية عند رومان جاكوبسن ، وأدبية الأدب أو الشعرية عند جيرار جينت في كتابه المتخيل والقول .

د.روفيا بوغنوط - مادة نظرية الأدب

أولا - طبيعة الأدب :

يقول روبرت اسكاربيت إن لفظة الأدب انتقلت من معنى (فن كتابة الحروف) إلى معنى (الإنتاج الأدبي)، على يد لسينغ Lissing 1975 ، فقد بدأ مفهوم الأدب يحل تدريجيا محل مفهوم (الآداب الجميلة) وهما البلاغة والشعر،وقد يكون هذا الشعر ملحميا أو غنائيا، أو دراميا،ويرى اسكاربيت أن الفرق بين الأدب والآداب الجميلة ،هو أن الأول يملك بعدا اجتماعيا وليس جماليا فحسب، وقد كتب غوستاف لانسون lansen، أن الأوبرا مثلا تنتمي إلى الأدب مثلما تنتمي إلى ربما أكثر إلى الفن الموسيقي ،فالأدب هنا هو فن الكتابة بالقياس والمعارضة مع الفنون الأخرى،

تبرز طبيعة الأدب كأوضح ما تكون حين يرد إلى نواحيه الأصلية، فمن الجلي أن مركز الفن الأدبي يقع في الأنواع الأدبية التقليدية من شعر غنائي و ملاحم ودراما، والمرجع فيها كله هو عالم الحكاية والمخيلة ، كما ن النصوص التقريرية التي ترد في رواية أو قصيدة أو مسرحية ليست صحيحة بحرفيتها، فهي ليست بيانات منطقية؛ حيث يوجد اختلاف بين نص تقريري نجده في رواية تاريخية أو رواية لبلزاك ،قد

تتضمن معلومات عن أحداث واقعية وبين المعلومات ذاتها التي نجدها في كتاب تاريخ أو علم الاجتماع، بصورة أدق إن شخصية ما في رواية تختلف عن شخصية تاريخية أو شخصية موجودة في الحياة الواقعية .[1]

إذا قلنا إن التخييل أو الاختراع أو التخيل هي السمة المميزة للأدب ،فإننا نفكر بهذه الطريقة ضمن حدود (دانتي ، وشكسبير ، وبلزاك..) وليس في حدود (شيشرون أو مونتين، أمرسون)، ومن المتعارف عليه أنه توجد حالات (بين- بين) فمؤلفات مثل (جمهورية أفلاطون)يصعب التنكر لها، على الأقل في سردها للأساطير العظمى، وفي ما تحتويه من مقاطع قوامها التخييل والاختراع ، وإن كانت في الوقت نفسها عملا فلسفيا في الدرجة الأولى،واللافت أن هذا المفهوم للأدب هو مفهوم وصفي وليس تقييما،إذ لا يضير كتابا عظيما واسع التأثير أن نحيله إلى الخطابة أو الفلسفة،أو المنشورات السياسية،وكلها قد تطرح مشكلات تتصل بالتحليل الجمالي والأسلوب والتأليف وهي مشكلات مشابهة لمشكلات الأدب ،غير أنها خالية من الصفة المركزية وهي التخييل .[2]

نشير إلى أن مصطلح الخيرجع أصل مصطلح الخيال في اللغة اللاتينية إلى الكلمة Img-intivo وكانت تحمل دلالة ما يرى في الحلم و الهلوسة، وبعد ذلك حملت معنى ملكة خلق الصور وَ تشكيلها (بين عامي 1269- 1278 م) ، وفي القرن الرابع عشر أصبحت تدل على ملكة تكوين و تركيباتٍ جديدة للصور[3] ، أما مصطلح التخييل فيعرف بأنه «التأليف بين الصور الذهنية التي تحاكي الظواهر الخارجية دون أن تعكسها حقا شيئا واقعيا و موجودا في الخارج (مثل أحلام اليقظة)»[4] ، وقد «اشتقت لفظة "Imaginer من الكلمة اللاتينية Imaginari سنة 1290م ، و استخدمت سنة 1314م للدلالة على تكوين صورة شيء أو طيف إنسان في الذهن ...و منذ سنة 1690م أصبحت تستعمل في الأدب و الفنون الجميلة للحديث عن تخيل شخصية أو وضع أو مشهد»[5] .

[1]- رونيه ويلك وأوستن ورن: نظرية الأدب ، ص24.

[2]-المرجع نفسه : ص25.

[3] يوسف الإدريسي: الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاءــ المغرب ، 2005 م، ص28.

[4] - جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب ـ تونس ـ، سنة 2004م، ص415

[5] - يوسف الإدريسي: الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين، ص 29، 30

نشير على أن مصطلح نظرية الأدب literary theory أفضل من مصطلح فن الشعر أو الشعريةpoetics /Poétique ، ذلك أن كلمة البويطيقا أو فن الشعر تستبعد النظر في أشكال أدبية كالرواية أو المقالة، ولربما أوحت أيضا بشئ من الإلزام إذا فهمت على أنها مجموعة من المبادئ التي لا بد أن يلتزم بها الشعراء[6]، لذلك نحاول أن نفصل في المصطلحات لفهمها وإدراك العلاقات بينها.

ثالثا ـ نظرية الأدب والشعرية/ بحثا عن أدبية الأدب

أ.**الأدبية:litterarite / lIterariness** ، والأدبية مصدر صناعي مشتق من الأدب ،وإن المعنى الحديث لكلمة أدب لم ينطلق عند الغربيين إلا في القرن التاسع عشر،وقد رأى تيري إيغلتون أن تعريف الأدب بأنه كتابة تخيلية Imaginative؛ أي كتابة ليست حقيقية بمعنى الكلمة ،لا يفي بالغرض، فليس كل كتاب تخيلية أدبا ، ولا كل أدب تخيليا[7] ،لذلك سعى إلى البحث في جلاء ما به يكون جوهر الأدب فيجدها في تراث المدرسة الشكلية التي انتهت إلى أن الأدب أدب لأنه يستخدم اللغة بطرائق غير مألوفة[8] ، وأعلن رومان جاكوبسن عبارته الشهيرة (ما الذي يجعل عملا ما عملا أدبيا) ينطلق البحث عند "رومان جاكوبسن" من منظور لساني ،ابتداء من سؤال مركزي ما هو الأدب ؟ وما هي أدبية النص؟ وما الذي يجعل النص أدبيا ؟ بالضرورة قدم بحثا في اختلاف النص الأدبي عما سواه من نصوص فلسفية أو دينية أو قانونية،

لقد ظهر الشكلانيون في روسيا في السنوات السابقة على الثورة البلشفيةعام1917، وازدهروا في العشرينيات، وهذه المجموعة التي ضمت في صفوفها (شكلوفسكي، رومان جاكوبسن، اوسيب بريك، يوري تينيانوف، بوريس إيخنباوم، وتوماشفسكي)،المتمرسة في فن الجدل والمناظرة ، نبذت المذاهب الرمزية التي كانت قد مارست نفوذها في النقد الأدبي،وركزت الاهتمام ، بروح علمي وعملية على الواقع المادي للنص الأدبي ذاته،ذلك أن على النقد أن يبعد الفن عن الإيهام والغموض[9].

[6]- يوسف الإدريسي: الخيال والمتخيل في الفلسفة والنقد الحديثين: ص10.

[7]- تيري إيغلتون: نظرية الأدب، ترجمة ثائر ديب ،ط1، دراسات نقدية عالمية ، سوريا ص9.

[8]-المرجع نفسه : ص11

[9]- المرجع نفسه: ص12.

ركز "جاكوبسن" في « تصنيفه للأجناس الأدبية على خصائص البنية النحوية »[10] ، مما جعل تصوره ينبني على التشديد على الحساب الخاص(**للرسالة**) ، وهذا ما يطبع الوظيفة الشعرية للغة لكن كيف تتجلى الأدبية ؟! يقول« إنها تتجلى في كون الكلمة تدرك بوصفها كلمة وليست مجرد بديل عن الشيء المسمى ولا كانبثاق للانفعال وتتجلى في كون الكلمات وتركيبها ودلالاتها وشكلها الخارجي والداخلي ليست مجرد أمارات مختلفة عن الواقع ، بل لها وزنها الخاص وقيمتها الخاصة »[11].

وينطلق كتاب(قضايا الشعرية)من سؤال تقليدي ما الشعر؟ سيبدو للوهلة الأولى بسيطا غير أن هذا الأخير سيوضع بالضرورة بإزاء ما ليس شعرا ، وإن كان (ما ليس بشعر) من الصعب تحديده « فمحتوى مفهوم الشعر غير ثابت وهو يتغير مع الزمن،إلا أن الوظيفة الشعرية poéticité؛هي كما أكد ذلك الشكلانيون، عنصر فريد،عنصر لا يمكن اختزاله بشكل ميكانيكي إلى عناصر أخرى ، هذا العنصر ينبغي تعريته والكشف عن استقلاله»[12]،

بناء على طروحات جاكوبسن فإن هناك ست وظائف تقوم عليها **الرسالة اللفظية**، فاللغة يجب أن تدرس في كل تنوع وظائفها، والفعل التواصلي اللفظي يتشكل من **(مرسِل)** يوجه **(رسالة)** إلى **(مرسَل إليه)** ولكي «تكون الرسالة فاعلة، فإنها تقتضي بادئ ذي بدء سياقا تحيل عليه وهو ما يدعى أيضا المرجع باصطلاح غامض نسبيا- سياقا قابلا لأن يدركه المرسَل إليه ، وهو إما أن يكون لفظيا أو قابلا لأن يكون كذلك وتقتضي الرسالة بعد ذلك سننا مشتركا ، كليا أو جزئيا، بين المرسِل والمرسَل إليه (...)، وتقتضي الرسالة - أخيرا - اتصالا؛ أي قناة فيزيقية وربطا نفسيا بين المرسِل والمرسَل إليه، اتصالا يسمح لها بإقامة التواصل والحفاظ عليه»[13]، مع الأخذ في الحسبان أنه من الصعب إيجاد رسائل تؤدي وظيفة واحدة لا غير،فالمسألة مرهونة بالاختلافات بين الوظائف من حيث هيمنة وظيفة على حساب أخرى،

[10] ـ أحمد يوسف : القراءة النسقية، سلطة البنية و وهم المحايثة، ط1، الدار العربية ناشرون و منشورات الاختلاف، 2007.

[11] ـ رومان جاكوبسن : قضايا الشعرية ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون،ط1، دار توبقال، المغرب،1988. ص 19.

[12] ـ المرجع نفسه :الصفحة نفسها .

[13] ـ رومان جاكوبسن : قضايا الشعرية: ص 27.

بالإضافة إلى أن مساهمة الوظائف الثانوية الأخرى لابد من أن تؤخذ بعين الاعتبار أثناء الدراسة .
ومجموع الوظائف التي قال بها جاكوبسن هي :[14]

1- ــ **الوظيفة الانفعالية- التعبيرية** (fonction expressive): المركزة على المرسِل إلى أن تعبر بصفة مباشرة عن موقف المتكلِم تجاه ما يتحدث عنه.

2- ــ **الوظيفة الافهامية** (fonction conative): توجه نحو المرسَل إليه تحقق من خلال تعابير خاصة مثل الدعاء ـ الأمر .

3- ــ **الوظيفة الانتباهية** (fonction phatique): توظيف لإقامة التواصل وتمديده ، وللتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل وتوظف لإثارة انتباه المخاطب، والوظيفة الانتباهية هي الوظيفة الوحيدة التي تشترك فيها الطيور الناطقة مع الكائنات الإنسانية ، وهي أيضا الوظيفة اللفظية الأولى التي يكتسبها الأطفال ،بناء على أن النزوع إلى التواصل لديهم يسبق طاقة الرسائل الحاملة للأخبار.

4- ــ **الوظيفة المرجعية** (fonction référentielle): وهي التي تتعلق بالسياق ، ودلك من خلال الإلحاح على سياق خارجي أو داخلي ،

5- ــ **الوظيفة الميتالسانية** (fonction métalinguistique): تتمثل في ضبط طرفي الخطاب لأداة التواصل وهي الشفرة، فنحن نمارس اللغة الواصفة دون أن ننتبه إلى الخاصية الميتالسانية لعملياتنا، فكل صيرورة تعلم للغة ، وخاصة اكتساب اللغة الأم تلجأ بكثرة إلى مثل هذه العمليات الميتالسانية .

6- ــ **الوظيفة الشعرية** (fonction poétique): تطبع الوظيفة الشعرية للغة من خلال استهداف الرسالة نفسها، كما أشار جاكوبسن إلى أن كل محاولة لاختزال دائرة الوظيفة الشعرية إلى الشعر أو قصر الشعر على الوظيفة الشعرية ستؤدي إلى تبسيط مفرط ومضلل، والوظيفة الشعرية ليست هي الوظيفة الوحيدة لفن اللغة.

[14] . المرجع نفسه: ص31/30/29.

ويكون بالضرورة الاختلاف بين اللغة الشعرية و اللغة العادية ؛ذلك أن اللغة الشعرية هي المحملة بدلالات خاصة تتجاوز الحدود العادية ، وبالتالي يتم الشديد على الرسالة في ذاتها وهو ما يجعل جاكوبسن يشدد على المحورين محور الاختيار ومحور التأليف «تسقط الوظيفة الشعرية مبدأ التماثل لمحور الاحتيار على محور التأليف»[15]، فالاختيار ناتج على أساس قاعدة التماثل والمشابهة والمغايرة والترادف والطباق ،بينما التأليف يعتمد على المجاورة.

ب.الشعرية poétique:

يحمل مصطلح الشعرية مفهوما يقارب مفهوم الأدبية، بل لعله يطابقه أحيانا، ففي اشتغال الناقد "تزفيتان تدوروف" رأى على الشعرية أن تجيب على ما هو الأدب؟ وما هي الوسائل الوصفية الكفيلة بتمييز مستويات المعنى ؟!.

[15] ـــ رومان جاكوبسن : قضايا الشعرية ، ص33 .

يتكئ عملُ "تدوروف" على فكرة أساسية مفادها أن العمل الأدبي ليس في حد ذاته موضوع الشعرية، وإنما ما نستنطقه من خصائص هذا الخطاب النوعي، بمعنى آخر إننا نسعى للبحث عن الخصائص المجردة التي تكفل لنا خلق فرادة الأثر الأدبي، وهذا ما سيوجه الشعرية حتما إلى تقصي القوانين الكلية التي تحكم الظاهرة الأدبية« والاهتمام بالأجناس الأدبية، فما يهم الشعرية هو الأعمال المحتملة، أكثر من الأعمال الموجودة مما يفضي إلى أنها لا تسعى لتسمية المعنى بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل»[16].

من الواضح أن هذا الوصف يكاد يطابق وصف رومان جاكوبسن،يتبدى ذلك في قول تدوروف «إن الشعرية تتحدد من حيث هي علم بالأدب ،إذ إن المظاهر الأشد أدبية في الأدب ،والتي ينفرد وحده بامتلاكها،هي التي تكون موضع الشعرية»[17]

يعرف "كايدي قارغا" الشعرية بأنها **نظرية أدبية**، ويؤكد آخر أنها مقولات تسمح بفهم وحدة وتنوع كافة الأعمال الأدبية[18] أما "بالديك" فيورد للشعرية معنيين هي في الأول منهما مبادئ عامة للشعر أو للأدب عموما، وهي في الآخر الدراسة النظرية لهذه المبادئ[19].وقد وظف "رونيه ويليك"الشعرية بمعناها الثاني الذي ورد عند بالديك فهي نظرية الأدب ،

أما المعجم الموسوعي لعلوم اللغة) تصور صاحبيه (تدوروف وديكرو) لمفهوم الشعرية بالقول إن «مصطلح الشعرية وكما وصلنا بالتقليد، يعني أولا ، كل نظرية داخلية للأدب ثانيا هي اختيار المؤلف ضمن مختلف الإمكانات الأدبية للموضوعات ، والتركيب ، الأسلوب ـ كقولنا شعرية هوجو ـ ثالثا يحيل على السنن المعيارية التي تؤسسها مدرسة أدبية ما ،مجموع قواعد تجعل الممارسة استعمالها إجباريا،ولا يعنينا إلا المفهوم الأول للمصطلح»[20].

---

[16] ــ تزفيطان تدوروف: الشعرية ،الصفحة نفسها .

[17] - المرجع نفسه : ص84.

[18] - جون إيف تاديه : النقد الأدبي في القرن العشرين ، ، ترجمة قاسم المقداد،منشورات وزارة الثقافة ، سوريا، 1993ص331.

[19] - أحمد محمد ويس: ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي ،بحث في المشاكلة والاختلاف ، ط1، كنوز المعرفة ، الأردن،2017، ص39.

[20] - T .Todorov Oswald Ducrot : dictionnaire encyclopédique des sciences du langage ,Edition du seuils ,paris,1974,p106

أما جيرار جينت فقد سعى في كتابه التخيل والقول إلى التمييز بين نوعين من الشعرية للإجابة عن سؤال (ما الذي يجعل من نص ما سواء أكان شفويا أم مكتوبا،أثر فنيا ؟، تعمل الشعرية الأولى وهي

أ. **الشعرية التأسيسية ،(poétique essentialiste)** على الإجابة عن السؤال (ما الأدب؟)أو بصورة أخرى ما هي النصوص التي هي آثار أدبية ؟ يحملها معيار موضوعاتي تمثله شعرية أرسطو التي تقوم على محاكاة الأفعال بنوعيها (النبيل والدنيء)، ومعيار شكلي تمثله الشكلانية الروسية. وهذا النوع من الشعرية حسب جيرار جينت عاجز عن الإحاطة بكامل الحقل الأدبي ؛ حيث ينفلت الأدب غير التخيلي في النثر من قبضتها،كالتاريخ والخطابة المقالة ، سيرة ذاتية

ب. **الشعرية الثانية هي شعرية شرطانية أو ظرفية Poétique Conditionaliste:**تهدف إلى البحث في ما هي الشروط أو ما هي الظروف التي يجب توفرها حتى يمكن أن يصير نص ما أثرا أدبيا ؟،وهي شعرية مفتوحة تعمل على استقبال النصوص التي لا تستطيع الدخول إلى الحقل الأدبي إلا بإرادة الظرف.بصورة أدق نحن نطرح سؤال متى صير الشيء أدبا ؟ واللافت أن المبدأ هنا قائم على فكرة يعد ادبا كل نص يولد لدي ارتياحا جماليا [21].

د.روفيا بوغنوط - مادة نظرية الأدب سنة ثانية ليسانس - ٢٠٢١-٢٠٢٢

[21]- جيرار جنيت : التخيّل والقول مسبوق بمدخل على النص الجامع، ، ترجمة الصادق قسومة، ط1، دار سيناترا، تونس 2014.

د.روفيا بوغنوط - مادة نظرية الأدب سنة ثانية ليسانس - ٢٠٢١-٢٠٢٢